ريب المنون الذي ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى ينتظر به ان يصيبه مكاره وحوادث تؤدي
الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشماتة الفرح ببلية العدو ولما كانوا يشمتون
بموته ابطل الله شماتتهم بهذه الآية اي قضى الله ان لا يخلد بشرا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان
كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد ما تقرر قبله والفاء
لترتيب مضمون الشرطية على ما ذكر قبلها ولولا الهمزة لكان المعنى بعد ما تقرر ذلك ان مت فهم خالدون
فجيء بالهمزة لانكار هذا المعنى واكد الله هذا الانكار بقوله كل نفس ذائقة الموت واثار بعض ان المراد
بالنفس النفس الناطقة التي هي الروح الانساني وان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وقد المرارة
مستعارة لما يصيب النفس من الم المفارقة تشبيها لها بالكيفية المطعومة وجعل الذوق ترشيحا للاستعارة
فلا يرد ما ذكره الامام من عموم كل نفس لا بد ان يراد به المخصوص فان له تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت فانه انما يتجه لو كان
النفس بمعنى الذات وليس كذلك روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت استاذن ابو بكر رضي الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع يديه على صدغيه
وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت
فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال في خطبته من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرر القضاء بتسوية الموت بين
الخلق لمن اوبين وجه الحكمة فيه بان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء بالمكاره التي تسمى شرا وهي
المضار الدنيوية من الخوف والجوع ونقص الاموال والانفس والثمرات وبالشهوات العاجلة التي
تسمى خيرا كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة وغيرها ليظهر
ما في علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن وتميزوا عن اضدادها ويجازي كل احد
على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما وهذه المجازاة
لا تسعها دار التكليف فلا بد من دار اخرى لا يصار اليها الا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس ان تموت
ثم تبعث فقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تهجينهم وتقبيح حالهم
الذي هو استهزاؤهم من بعث صارفا عن العقائد الزائغة والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم المقيم
مع انهم المستحقون لان يهزأ بهم فقال واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ان نافية
وهي مع ما في حيزها جواب اذا الشرطية وهزؤا مصدر واقع موقع اسم المفعول اي مهزوا به او الهزء
السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اي ويقولون اهذا الذي
يذكر قوله لدلالة الحال فانه يقال فلان يذكر الناس ويراد انه يغتابهم ويذكرهم بالعيوب ويقال
فلان يذكر الله ويراد انه يصف الله بالعظمة والجلال ويثني عليه بما هو اهله ويطلقون فعل الذكر عنهما

اعتمادا على دلالة الحال والمقام وجملة قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون في موضع الحال من فاعل القول
المقدر او من فاعل تتخذونك اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة او يتخذونك هزوا وهم حال هي اصل
في ايجاب الهزء والسخرية وبهذا اختار الشيخ حيث قال وهم احق بان يهزأ بهم وهم الاولى مبتدأ وكافرون
خبره وبذكر متعلق الخبر والتقدير وهم كافرون منكرون بذكر الرحمن وهم الثانية تاكيد لفظي للاولى
ليفيد الاختصاص ولوقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذكر الى الرحمن اما من قبيل
اضافة المصدر الى مفعوله اي وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب ان يذكر به من الوحدانية والتنزه عن اتخاذ
الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبيل اضافته الى الفاعل اي بان يذكر الرحمن عباده
بارشادهم الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القران المنزل الذي
هو ذكر للعالمين وموعظة لهم قوله ولذلك اي وللاحتياج الى التاويل في جعل العجل لخلق الانسان
كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعرض النار عليهم وهو بعيد لانه لما امكن حمل الكلام
على معنى صحيح وهو على ترتيبه السليم لا وجه لان يقال انه مقلوب روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
نزلت الآية في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء الآية قوله والنهي عما جبلت عليه نفوسهم جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذي جبل عليه
الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان فالنهي عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يقع بالنص
وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما يكون من لوازم الانسان اذا خلي الانسان ونفسه وهو لا ينافي
ان يكون تركها مقدورا له بان يقهر نفسه الامارة ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية
الا يرى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها من القوى التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
ونحوها من الامور الجبلية فانه تعالى جعل في وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما بالرياضة وهو
كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اخبر انه خلق هلوعا جزوعا ومنوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان
استثناء المصلين منهم دل على ان الانسان يتحول بالرياضة عن الحالة التي خلقه الله عليها الى اخرى قوله وقت
وعد العذاب اي وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ ومتى خبره قدم عليه انهم كانوا
يستعجلون العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فلاد الله نهيهم
عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم في الوقت المقدر له فجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه
مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقوله متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذي
اريد نهيهم عنه يحيط بهم النار من كل جانب اشارة الى ان قوله عن وجوههم ولا عن ظهورهم عبارة عن
جميع الجوانب كانه قيل عن قدامهم وخلفهم قوله لما استعجلوا جواب المقدر وحسن حذفه لان ما تقدم
يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهلهم بذلك الحين وما فيه من العذاب المهين قوله ويجوز ان يترك
مفعول يعلم اي مفعول لفظ يعلم الذي هو اسم علم يعلم الذين هو اللفظ الدال على معنى في نفسه مقترن
باحد ازمنة الثلاثة لانه لو اريد به لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة من خواص الاسم وقد نص المحققون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)